

الذكاء الاصطناعي والتحرر الأدبي

Artificial Intelligence and Literary Liberation

صوالح وهيبة*

جماعة عبد الرحمن ميرة/بجاية - الجزائر

wahiba.soualah@univ-bejaia.dz

تاريخ الاستلام: 2024/09/25

تاريخ القبول: 2025/05/03

المخلص

إنّ استخدام الذكاء الاصطناعي في حقل الأدب يعد من الخطوات المهمة نحو التحرر الإبداعي، ولا شك أن استعانة المبدع بالذكاء الاصطناعي في إنتاج النصوص هو سلوك فعّال له إيجابياته التي تعود على كل من المؤلف والنص، إنّ الاستعانة بالذكاء الاصطناعي للتعامل مع النصوص الأدبية يمنح المتلقي طرقا جديدة في التلقي، ويمنح الباحث طرقا جديدة للتحليل. وله قدرة على تعزيز التفكير النقدي وتنمية المهارات اللغوية ويمكنه أن يصحّح الفقرات التي يكتبها المبدع أو الباحث لغويا، ويعيد صياغتها بشكل سليم، وعلى الرغم من التخوفات التي يطرحها العالم منذ دخول العالم مرحلة الذكاء الاصطناعي فإنّ ما يحققه الإنسان من إنجازات بفضلها يعد قفزة نوعية في هذا العصر.

الكلمات المفتاحية: ذكاء اصطناعي؛ أدب؛ تحرر إبداعي؛ مبدع؛ متلقي؛

Abstract

The use of artificial intelligence in the field of literature is a significant step towards creative liberation. Undoubtedly, employing artificial intelligence in text production is an effective practice with benefits for both the author and the text. Utilizing artificial intelligence to handle literary texts offers recipients new ways of engagement and provides researchers with novel methods of analysis. It has the potential to enhance critical thinking, develop language skills, correct the linguistic aspects of paragraphs written by creators or researchers, and rephrase them correctly. Despite the concerns raised globally since the advent of the artificial intelligence era, the achievements humanity has made thanks to it represent a qualitative leap in this age.

Keywords: Artificial Intelligence ; Literature ; Creative Liberation ; Creative ; Recipient ;

* المؤلف المرسل: صوالح وهيبة، الإيميل: wahiba.soualah@univ-bejaia.dz

مقدمة:

تلتقي الرقمية والأدب مرة أخرى بفضل هندسة الذكاء الاصطناعي، وهي خطوة متطورة من شأنها أن تحسن من العملية الإبداعية بوصفها المجال الذي يعتمد على فكرتين أساسيتين وهما: الكتابة والقراءة، ولا يقوم التقييم والتحليل إلاّ عليهما. ويبدو جليا أن الذكاء الاصطناعي والأدب مجالين مختلفين يلتقيان في عنصر الإبداع ويسعى الكاتب إما لتلبية احتياجاته لإيصال فكرة أو معلومة، أو للتعبير عن أحاسيسه، واندماج هذين المجالين يخلق للوجود أشكالاً جديدة للتواصل والتعبير الفني والإبداعي.

ينتمي الذكاء الاصطناعي إلى العالم الرقمي علم الحاسوب ويهدف إلى أداء المهام المعقدة وعالية الجودة. والمتأمل لفكرة الذكاء الاصطناعي وكيفية استخدامه في مختلف مجالات الحياة سيصل حتماً إلى أنه عبارة عن ذكاء بشري أساساً، وأنه بحث في سلوك ذكي يتواجد في الإنسان يتم استثماره في الآلة لأسباب كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر: أنه يوفر الجهد الجسدي والنفسي على الإنسان، ويعطي حلولاً كثيرة وطرقاً متعدّدة في تحليل البيانات، ويعطي الحلول لكل المستخدمين في اللحظة نفسها ودون أن يفرق بين مستوى وعيهم أو مستوى تعليمهم، ويختصر الزمن بتقديم إجابات سريعة ودقيقة..

ويختلف مفهوم الذكاء الاصطناعي باختلاف المجال الذي يستخدم فيه، وباختلاف رؤية الباحثين له، وباختلاف الفائدة المرجوة منه، وبناء على هذا فإنّ مفهوم الذكاء الاصطناعي مفهوم معقد من الصعب أن يستقر في ظل التباين الموجود بين ما تم ذكره وبين التسارع التكنولوجي الذي يحدّد نوع التقنيات المستخدمة فيه.

إنّ تباين نسبة الذكاء عند الإنسان قياساً إلى جودة النصوص الأدبية وتفاعل القراء معها أمر معروف وطبيعي، كما إنّ عدد البشر الذين يوصفون بالعابرة نسبتهم العالمية منخفضة جداً وهو ما يعود سلباً على الحياة البشرية، ولعله من الأسباب التي أدت إلى التفكير في اختراع الذكاء الآلي أو الاصطناعي لتطوير الحياة وتحسين جودتها على جميع المستويات، وإحداث نوع من التوازن، والحصول على أكبر قدر من النتائج الإيجابية، وعوض أن يكون أحد الملكات

الفطرية التي يختص بها القلة من الناس أصبح أحد الأدوات المتاحة للجميع مع الأخذ بعين الاعتبار الفرق بين الصناعتين !

إنّ استخدام الذكاء الاصطناعي في حقل الأدب يعد من الخطوات المهمة نحو التحرر الإبداعي، ولأشك أن الاستعانة بالذكاء الاصطناعي في إنتاج الأدب هو سلوك فعّال له إيجابياته التي تعود على كل من المؤلف والنص، في حين يطرح استخدام الذكاء الاصطناعي في الإبداع الأدبي تخوفا من جهة أخرى وكثير من الأسئلة حول مصير المبدع بالدرجة الأولى في الفترة القادمة؟ وماذا لو سيطر الذكاء الاصطناعي على كل ميادين الحياة التي يستمد الأدب منها مواضيعه وأحاسيسه؟

الذكاء الاصطناعي واستخداماته في الأدب:

نمر إلى مفهوم الذكاء الاصطناعي ومن ثم كيف يشتغل، يمكن التعرف على الذكاء في الآخر عبر سلوكياته وتفاعله مع الوسط الذي يعيش فيه أو عبر أسلوب الكاتب في كتابة نصوصه واستخدامه للإيحاء والرمز، أو في كيفية الخروج من المآزق المفاجئة أو في كيفية الرد على الأسئلة الحرجة أو في تحليل الأحداث والنصوص وما إلى ذلك، و «حقق باحثون آخرون في مجال الذكاء الاصطناعي نتائج مبهرة في إدراك جوانب مميزة من السلوك البشري من خلال الآلات. وهناك مثال يوضح ذلك وهو لعبة الشطرنج.. ففي إحدى المباريات التي أقيمت عام 1997، نجح جهاز الكمبيوتر الذي يحمل اسم Deep Blue في هزيمة بطل العالم في الشطرنج "جاري كاسباروف". والآن تستطيع أجهزة الكمبيوتر كنموذج للآلة الذكية لعب الشطرنج بصورة أكثر جودة عما كان مخططا له» (ويتباي، الذكاء الاصطناعي، 2008)، وتحقيق الآلة هذا الفوز هو ما يفسر اختلاف فكرة استخدام الذكاء عند البشر وعند الآلة، و«مجال الذكاء الاصطناعي تضمن أيضا جعل أجهزة الكمبيوتر تقوم ببعض الأمور البديهية». (ويتباي، الذكاء الاصطناعي) وهو ما يعني أنه يتعدى فكرة استخدام المنطق والاستنتاج.

ومن المفاهيم الخاطئة عن الذكاء الاصطناعي أن « يكون لديك فهم ما لمصطلح "ذكاء". قد يؤدي هذا الفهم إلى افتراض أن الذكاء الاصطناعي يتعلق بتضمين الذكاء الذي يتوفر لدى

البشر في بعض أنواع الآلات. إلا أن هذا الافتراض، قد يكون خاطئاً إلى حد كبير». (ويتباي، الذكاء الاصطناعي، 2008)

إنّ استخدام الذكاء الاصطناعي للتعامل مع النصوص الأدبية أصبح ضرورة من ضرورات الحياة العصرية، وله تأثيره الإيجابي الكبير، ويوجد عدد من الطرق للاستفادة من الذكاء الاصطناعي في الأدب. وعموماً «يهتم علم الذكاء الاصطناعي بالعمليات المعرفية التي يستخدمها الإنسان في تأدية الأعمال التي نعدّها ذكية. وتختلف هذه الأعمال اختلافاً بينا في طبيعتها، فقد تكون فهم نص لغوي منطوق أو مكتوب، أو لعب الشطرنج أو "البريدج"، أو حل لغز، أو مسألة رياضية، أو كتابة قصيدة شعرية..» (بونيه، 1993)

توليد النصوص الإبداعية السردية والشعرية:

توجد عدة برامج تستخدم في كتابة النصوص وتحليلها تستخدمها المؤسسات على اختلاف اهتماماتها وهي فرصة لتجريب هذه البرامج في معالجة النصوص الأدبية وقد أثبتت بعض البرامج فعاليتها في الإجابة عن الأسئلة الموجهة إليها، وبدأت أبحاث الذكاء الاصطناعي باستخدام الكمبيوتر، وتطور الأمر عبر الزمن إلى إنشاء روبوت يقوم بالردشة مع المستخدم، وهي نفسها البرامج التي أصبحت شائعة في كتابة النصوص وتحليلها مثل: شات جي بي تي CHAT GPT و«أحدث الإصدار الجديد لروبوت المحادثة "شات جي بي تي" في نهاية سنة 2022، ثورة جديدة في مجال الذكاء الصناعي حول العالم، حتى وصف بأنه واحد من أهم الاختراعات في مجال التكنولوجيا في العقود الماضية». (بابعا، 2024) وهو نموذج لغوي تم تدريبه بواسطة شركة أمريكية تدعى أوبن إيه OpenAI، وماهو مطروح على مواقع الانترنت هو نسخته التجريبية الثالثة GPT-3.5 محدودة الاستخدام مقارنة بنسخ مدفوعة أكثر تطوراً ك: GPT-4. وهو عبارة عن برنامج دردشة ذكي يمكن لأي مستخدم بغض النظر عن مستوى تعليمه أو أهدافه أن يتعامل معه، ويدخل في حوار معه وي طرح عليه أسئلته، ومن مهامه الأساسية توليد النصوص بناء على ما تم تدريبه عليه؛ وهي معلومات مأخوذة من مصادر مختلفة عبر الانترنت، فيبحث في بياناته وفقاً للسياق الذي جاء فيه السؤال حتى تكون إجابته مقاربة ومنطقية. وله قدرة التفاعل مع الأسئلة والاستفسارات التي توجه له بواسطة اللغة الطبيعية NLP، وهي أحد فروع الذكاء الاصطناعي، و«يتضمن دراسة برامج الكمبيوتر ومحاولة إنشائها،

والتي قد يمكن من خلالها التواصل باللغة العربية أو أية لغة أخرى». (ويتباي، الذكاء الاصطناعي، 2008) والفائدة منها أنها تنشئ محادثات وتجيب على الأسئلة وكتابة النصوص على اختلاف أنواعها، سواء مقالات أم نصوص إبداعية أو رسائل، وهذا البرنامج الذكي وإن كان قادرا على تنفيذ كل هذه الأوامر؛ فهو لا ينفذها بدقة ولا بأسلوب يستشعر فيه المتلقي أن هناك إحساس في ثنايا الكلمات، أو أن هناك معانٍ روحية، وهنا على الباحث أن يتدخل بالتدقيق في المعلومات وفي إعادة صياغة الجمل والعبارات وتطوير الأفكار المقترحة عليه وهو ما يشير إلى نقطة غاية في الأهمية وهي أن الإنسان مازال يتحكم في زمام الأمور.

إنّ الاستعانة بالذكاء الاصطناعي للتعامل مع النصوص الأدبية يمنح المتلقي طرقا جديدة في التلقي، ويمنح الباحث طرقا جديدة للتحليل. وله قدرة على تعزيز التفكير النقدي وتنمية المهارات اللغوية ويمكنه أن يصحّح الفقرات التي يكتبها المبدع أو الباحث لغويا، ويعيد صياغتها بشكل سليم، وعلى الرغم من التخوفات التي يطرحها العالم منذ دخول العالم مرحلة الذكاء الاصطناعي فإنّ ما يحققه الإنسان من إنجازات بفضل يده قفزة نوعية في هذا العصر. ومن ضمن الإيجابيات التي تظهر في الأفق في مجال الإبداع الأدبي والثقافي على سبيل المثال وليس الحصر نذكر:

- توليد أفكار جديدة لم ينتبه إليها المبدع ممّا يوجهه نحو سبل يمكنه من خلالها تقديم مقترحات غير متوقعة وجديدة، ويمكن للمبدع أن يكتب بطريقة جديدة تعتمد على برامج الذكاء الاصطناعي ممّا يوسع آفاق الإبداع والتحليل.
- إنتاج نصوص كثيرة وبشكل تلقائي دون حدود يفرضها المبدع فتأتي للوجود نصوصا قصصية أو قصائد شعرية جديدة ضمن حدود الأسلوب الأدبي المعروف.
- يؤمن الذكاء الاصطناعي في مجال ترجمة النصوص الأدبية خيارات واسعة، ودقة أفضل من البرامج الرقمية العادية التي تعتمد على الترجمة الحرفية، وذلك بفضل الأنظمة عالية الدقة التي تمكنت من تحسين جودة الترجمة، ممّا يؤمن الاستفادة منه في التعرف على ثقافات المجتمعات الأخرى وفهم إبداعاتها الأدبية.

- يمكن لبرامج الذكاء الاصطناعي أن تقوم بتحليل النصوص الأدبية وفق ما يتطلبه البحث، ووفق ما يحتاجه الباحث، مما يسهل من عملية استخراج المعلومات بسهولة وسلاسة، ويسمح للباحث بالتوسع في موضوع بحثه.

- إنّ إنتاج هذا النوع من النصوص يحتم على المتلقي أن يتعامل معها بالأداة نفسها أو بالأسلوب نفسه، مما يسفر عن طرق جديدة في تقييم النصوص وتحكيمها.

إن أهم ما يجب الاستفادة منه هو تحسين جودة التأليف وهذا ما تؤمنه برامج الذكاء الاصطناعي التي تبرمج بخوارزميات، ويتم تدريبها على توليد النصوص، وهي برامج مدربة على عدد كبير من النصوص لتأخذ المعلومات من مختلف المصادر سواء المقالات أم الكتب أم مواقع الويب، وعند مطالبتها بتنفيذ مهمة ما تقوم بوضع المعلومات في السياق المطلوب منها ثم تقدمها حسب المطلوب سواء كان نصاً أم جملة أم بيتاً شعرياً، وهو برنامج مدرب على لغات العالم كلها، ويحسن استخدام كل لغة بقواعدها، وهو في تحديث مستمر وكل النماذج المنقحة بالذكاء الاصطناعي يمكنها أن تنتج الجمل اللغوية المعقدة والنصوص الأدبية، مهما كان نوعها بسهولة وبشكل مقنن بواسطة الخوارزميات اللغوية.

وإن كان الذكاء الاصطناعي قادراً على تحليل النصوص الأدبية من الناحية اللغوية والأسلوب، وحتى السياقات الثقافية والتاريخية للنصوص؛ فهو في تأليف النصوص الأدبية أقل انتقانا بوصفها نصوصاً إبداعية سواء قصة أم شعراً أو مسرحاً تتطلب أحاسيس لا يمكن أن يكتبها أو يستشعرها غير الإنسان، بوصفه هو المخترع ولا شيء يتجاوز قوانينه التي وضعها من الأساس؛ ولأن الذكاء الاصطناعي في تطور مستمر ومزود بتقنيات تعالج اللغة والصياغة فهو يعين الكاتب على تحسين أسلوب كتابته وتقنية لغته من الأخطاء، وهنا يجب الإشارة إلى أن الآلة وإن كانت قادرة على توليد الكلام فهي عاجزة عن توليد الإحساس الذي يرافق الكلمات، وهو ما يلزم الكاتب أن يتدخل حتى يزرع الروح في نصه.

- تحليل النصوص الأدبية بالذكاء الاصطناعي:

يعتمد تحليل النصوص الأدبية على أدوات فنية وتقنية تتعلق بمجال الأدب نفسه، مثل: تحليل طريقة استخدام الكاتب للغة والألفاظ والتعرض إلى دراسة الشخصيات والأحداث والزمن

والمكان والرؤية وما إلى ذلك.. وتطور الأمر في عصر التكنولوجيا تحديداً في بداية الألفينات إلى استخدام الكاتب العربي للآليات الرقمية في كتابة نصه وإخراجه ممّا ولد طرقاً جديدة في القراءة والتلقي، ومؤخراً أصبح الأمر أكثر تطوراً يتعلق بشريك آلي مبدع، وهنا من الضروري الوقوف على جزئية مهمة، وهي أن الذكاء الاصطناعي يتعامل مع النصوص الأدبية على أنها بيانات عليه أن يعالجها وفق الأوامر التي يتلقاها من المستخدم دون أن يدرك الجهة التي تملّي عليه أوامرها.

توجد أعمال سردية اتخذت من الذكاء الاصطناعي موضوعاً لها مثل رواية: فرانكشتاين أو إله النار، سنة 1818م، للمؤلفة البريطانية "ماري شيلي"، وتدور أحداثها حول شاب عبقرى اخترع ربات غير أنه بسبب خطأ قام به تسبب في زيادة طول المخلوق ليتحول إلى نعمة عليه وعلى الناس، وفي جزئية من القصة تتعلق بأحاسيس الربات الذي أحب إحدى العائلات في القرية، وكون صداقة مع أب الأسرة الأعمى تتأكد جزئية مهمة وهي أن أهم مافي الحياة هي الأحاسيس بغض النظر عن بشاعة الصورة، غير أن الرؤية التي يتمتع بها باقي أفراد الأسرة كشفت عن بشاعة هذا الربات الذي اكتشف هو أيضاً بشاعته عندما انعكست صورته على الماء؛ فهرب ومن ثم ارتكب جريمة قتل، وفي الأخير هدّد مخترعه بالقتل إن لم يخلق له شخصاً يؤنس وحدته. وهنا ينبه الكاتب إلى أن المستقبل سيأتي بشركاء من اختراع بشري يتجاوزون فكرة خدمة الإنسان إلى مشاركته حياته ونعمه، والإنسان هو من يعزز هذه الفكرة في مخلوقاته الآلية باختراعهم بمنبهات حسية تجعلهم يشعرون مثلاً يشعر الإنسان، وهو ما يجلب الضرر على البشرية؛ لأن الإنسان كائن خطأ، وهو ما يؤكد أيضاً أن صفة الخلق هي صفة ربانية لا تقبل أي نسبة من الخطأ بأي حال من الأحوال، وجاء الكاتب بفكرة تمرد الربات على الإنسان والعواقب غير المقصودة، وماذا ستجني البشرية من تجاوزها لحدودها المعلومة، وكثيرة هي القصص التي تجعل من الربات موضوعاً لها، مثل: روايات الكيميائي والمؤلف الأمريكي الروسي: "إسحق أزييموف" أو "إسحاق عظيموف" الذي كتب عن الذكاء الآلي وقدم رؤية تنبؤية للمستقبل واخترع شخصيات عديدة منها: هاري سيلدون، وكتب عن الربات كروايته الشهيرة "أنا.. روبوت" ترجمة: محمود حسن عبد الجواد عن دار نهضة مصر للنشر. نتجاوز العالم الغربي إلى العالم العربي الذي يساهم فيه الكاتب سيد نجم إبداعاً ونقداً في حديثه عن الربات والذكاء الاصطناعي مثل:

• «قصة "روبوت سعيد جدا" بقلم "السيد نجم" .. في البحث عن ملامح التقنية الجديدة وعلاقتها المستقبلية بالإنسان. سعيد لأنه لا يملك الاحساس الذي يجعله يتألم ويتذمر من الأشياء أو يتعب من العمل». (نجم، النشر الإلكتروني والإبداع الرقمي "رؤية حول الأدب الجديد"، 2010) وفي هذه القصة يضع الكاتب الروبوت في حدوده كآلة لا تملك أحاسيس بشرية، وهو ما يفسر التزام هذا الكاتب بقوانينه كإنسان لا يمكنه أن يتخذ صفة الإله.

• «قصة "شات.. شات.. شات، من مخاطر الانترنت" بقلم "سنية عامر" .. وفيها تسعى الكاتبة إلى ملاحقة الجانب الأخلاقي في التعامل مع التقنية الجديدة.» (نجم، النشر الإلكتروني والإبداع الرقمي "رؤية حول الأدب الجديد"، 2010)

• «(قصص رقمية) .. قصة "خلع.." ، قصة "رنة موبايل" ، (أوف لاين)، قصة رقمية "تعويذة الكترونية"» (نجم، النشر الإلكتروني والإبداع الرقمي "رؤية حول الأدب الجديد"، 2008)

في شكل آخر من الإبداع الأدبي يتخذ الكاتب من الذكاء الاصطناعي أداة يستعين بها في الكتابة والتأليف، وهنا يمكن لأي مستخدم أن يطلب من برامج الذكاء الاصطناعي أن تكتب له نصا، مما يجعل فكرة الكتابة لا تقتصر على المبدع الأدبي بمفهومه المعروف، وتتجاوز إلى أنه متاح في أي وقت ولأي مستخدم، وفي تجربة تعامل فيها عبد الرحمن المحسني مع برامج الذكاء الاصطناعي حيث طلب منه أن يكتب له قصة مراعي عناصر السرد فيها، ولم يفصح المحسني عن صيغة سؤاله أو نوع البرنامج الذي تعامل معه، وقدم لها تحليلا مع القصة بواسطه البرنامج نفسه، والمتأمل لهذه القصة (المحسني، الذكاء الاصطناعي قاصًا وناقداً (تجريب)، 2024) سيشعر حتما أنه أمام نص لغوي أكثر منه إبداعي وكل الجمل مكتوبة بطريقة آلية، وهنا لا نقصد الآلة، وإنما النظام اللغوي الذي تكون فيه الجمل مبنية على القواعد أكثر منها على الإحساس، ويكون التركيز فيها عاليا على مواقع الأفعال والفواعل أكثر من الفواعل والأفعال نفسها، فالإبداع الفني يركز فيه الكاتب على إحساسه أكثر من تركيزه على تركيبية الجمل، ولعل هذا ما يكشف عن قصور الذكاء الاصطناعي الذي لا يشعر بما يكتب وإنما يرص الكلمات وفق الأسئلة التي توجه إليه حتى وإن بدا للمتلقي أن النص مليء بالمشاعر.

وفي كثير من الأحيان يستخدم الذكاء الاصطناعي كلمات لا تخدم السياق الذي جاءت فيه لمجرد أنها تتشابه شكلاً، وهذا المثال واحد من بين العديد من الأمثلة التي جاءت في نصوص برنامج شات جبتي CHAT GPT سواء في النصوص الإبداعية التي تطلب منه أو في الأجوبة التي يقدمها، وهذا مثال من القصة نفسها:

- «عندما أراد نديم إعادة الذهاب إلى المنارة ليلاً مع بعض القرويين» (المحسني، الذكاء الاصطناعي قاصاً وناقداً (تجريب)، 2024)

يبدو جلياً أن الخلل في هذه الجملة في كلمة "إعادة" ما يقصد به البرنامج هو العودة وكان من المفترض أن يكتب: «عندما أراد نديم العودة إلى المنارة» والبرنامج في حقيقة الأمر لا يفكر قبل أن يكتب، وإنما يبحث في المعلومات المخزنة لديه ليشكل الجملة دون أن يفاضل بين الكلمات؛ فيختار لها الكلمة الأقرب شكلاً، عكس الكاتب الذي يدقق في الكلمات ويختار الأنسب عادة حتى لا يخرج عن سياق فكرته.

وفي النص يبدو وكأن البرنامج غير قادر على الخروج من فكرة واحدة يخلق منها كلمات تتشابه في نقطة ما، وهذا طبيعي لأن البرنامج يعتمد على خوارزميات ومعلومات مبرمجة من طرف الإنسان مثل هذا التشبيه: «وصل إلى غرفة كبيرة تحتوي على آلة غامضة تبدو كأنها جزء من موسيقى قديمة» (المحسني، الذكاء الاصطناعي قاصاً وناقداً (تجريب)، 2024). والمتأمل في هذه الجملة سيكتشف بأن البرنامج يعقد الشبه بين الآلة والموسيقى التي كان يتحدث عنها بالأساس، ولم يخرج في سياق حديثه عنها. مثلاً لو كان الكاتب إنساناً لقال مثلاً: آلة غامضة تبدو ككهف مهجور، أو ما إلى ذلك من تشبيهات تخرج بالمتلقي إلى عالم خارج الفكرة الرئيسية أو النص.

وتبقى الأسئلة معلقة بخصوص برامج الذكاء الاصطناعي في تأليف النصوص سواء النقدية أو الإبداعية، منها: هل يعطي البرنامج الأجوبة نفسها للأسئلة نفسها من أجهزة مختلفة؟ وهل يأخذ البرنامج التشكيل في اللغة العربية بعين الاعتبار أثناء الكتابة حتى يضع الكلمات في موضعها الصحيح؟

ولعل الإجابة الجامعة هي أن البرنامج يقوم بالرد على كل الأسئلة بالشكل الذي يتناسب مع الخوارزميات التي تم برمجته عليها، وهو ما يلفت الانتباه إلى جزئية غاية في الأهمية وهي أن على المستخدم أن يكون واعيا ومدركا لمعنى السؤال الذي يطرحه أولاً، وللجواب الذي يتلقاه من برامج الذكاء الاصطناعي ثانياً حتى يخرج بنص مفهوم المعنى والصياغة.

توسيع حدود الإبداع الأدبي:

غالبا ما تعبر النصوص الأدبية على المكان والزمن الذي أنتجت فيه بطريقة أم بأخرى، وتظل حدود الإبداع رهينة الظروف التي أوجدتها، ولا يمكن التكهن بمستقبلها مادام أن الإنسان لم يكتف بقدراته الذاتية وتجاوز البحث والكتابة والقراءة بالطرق التقليدية إلى استخدام تقنيات عالية الذكاء، وما هو مطروح حاليا يظل محطة إلى أن تظهر محطة أخرى ينتقل إليها.

إنّ العالم في تقدم وتطور مهما حاول أن يحارب هذه التكنولوجيا، والحقيقة أن العالم لا يحاربها لأنها تطورت أو لأنها ستأخذ مكانه في بعض القطاعات الخدمية؛ وإنما يتخوف من فكرة أن يتوقف عن فهمها، بمعنى أن تصل إلى درجة من التطور الذاتي فلا يستطيع التحكم فيها أو السيطرة عليها، وهذا راجع لما كان من خيبات ومعاناة بشرية كان سببها التكنولوجيا مثل الأسلحة الحربية المتطورة، وتغير نظام الحياة إلى الأسوأ، وما تحاول بعض الفئات أن تروج له من تخويفات كإشاعة ما يحدث في الفضاء وأن هناك كائنات عالية التطور تحارب الأرض.

ولعل أهم التخوفات هي التي تتعلق بالتسارع الملحوظ في تطور هذه التكنولوجيا وتسارع عامة الناس لاستخدامها، وستكون الفترة القادمة أكثر انفتاحا على العالم وستطرح إشكالية الثقافات والقيم التي تخص كل ثقافة، وستكون كل أمة موضع شك للأجيال القادمة بسبب الانفتاح الحاصل عبر التواصل الرقمي بما فيها من مميزات وعيوب، وهذا التأليف للنصوص بشكل عشوائي وغير مقنن، وأهم ما يجب على الإنسان الحفاظ عليه في ظل هذا التسارع هي القيم الروحية والإنسانية التي يعول عليها.

يبقى المبدع في حيرة من أمره وفي خوف على نصوصه وعلى الأدب نفسه وحتى على النصوص القديمة التي يمكن أن تتحول دون أن يتفطن لذلك وعلى القيم الثقافية وأساليب الكتابة

والقراءة وعلى المخزون الأدبي والثقافي، وهنا لا يتعلق الأمر بثقافة دون أخرى أو أمة دون أخرى وإنما الأمر يتعلق بثقافة إنسانية كاملة.

وتبقى الإشكالية مطروحة من يدير هذه الخوارزميات ومن المسؤول عنها؟ وإذا كانت برامج الذكاء الاصطناعي متاحة اليوم للجميع لاستخدامها في تسهيل كتابة النصوص وتحليلها ماذا لو أصبحت في يد خاطئة؟ وهنا خاطئة بمعنيين إما أن تكون يدا آثمة تسعى إلى تدمير العالم وإنهائه ! أو إنهاء معالمه الثقافية والروحية، فيتحول الكاتب أو الباحث إلى آلة، لا يستطيع الكتابة التي تتطلب تفكيراً واعياً، إلا بهذه الخوارزميات، فيتم تحديد الفئة التي تتاح لها هذه الخوارزميات لتصبح الفئة المسيطرة في العالم والبقية عبيد لها !

وهذا يعني أن المتعلم والفاهم أكثر لهذه الخوارزميات بغض النظر عن سنه أو قيمته الاجتماعية هو من يمكنه أن يسيطر على أكبر الأنظمة كما يفعل الهاكر في اختراق البنوك، وبالتالي من السهل السيطرة على النصوص التي تحمل في جنباتها ثقافات وميراث أدبي لا يستهان به والتحكم به بالشكل الذي يريده هذا المسيطر، وهنا ستكون الثقافات مستقبلاً محل شك ولن تكون هناك نصوصاً موثوقة.

نعم الذكاء الاصطناعي يسهل الحياة ويسهل الكتابة ويسهل عملية البحث ولكن على الإنسان أن يخطط منذ الآن ليسيّطر عليه، وأن لا يصل لمرحلة تأليف نصوص بأكملها بواسطة هذه البرامج خاصة وأنها تتطور بشكل سريع وفي كل مرة تبدو أنها قادرة على أن تحل محل الإنسان في تحليل البيانات، ونشر مقاطع الفيديو وتحليل الصور وما إلى ذلك أو أن يستخدمها دون رقابة أو دون ضوابط.

من الجميل أن يرتاح الإنسان وأن لا ينشغل طول الوقت بأشياء قد تحل محلها الآلة كتسهيل عملية تحليل بعض البيانات، أو طرح أسئلة من شأنها أن تسهل كتابة موضوع ما، غير أن الاعتماد والتسليم الكليين لهذا الاختراع سيعود على الإنسان بالضرر ليس خوفاً منه كما يروج له وإنما خوفاً من الضرر الذي سيقع في قدرات الإنسان الفكرية، الذي يؤدي به إلى الكسل العقلي، وبناء عليه على الكاتب أن يكون حذراً في استخدام مثل هذه البرامج.

وما هو شائع منذ ظهور الذكاء الاصطناعي أن العالم بعد عشرون سنة ستختفي فيه الكثير من الوظائف ويعوض الإنسان ببرامج وتطبيقات وروبوتات ! وهو ما يثير الرعب في الكثير من النفوس البشرية، وحتى وإن اختفت الوظائف فسيجد الإنسان لنفسه وظائف تتماشى مع تلك الفترة، ولن يموت جوعاً، وستكون هذه الآلات في خدمته وستسهل عليه الحياة ليتحول الإنسان من الخدمات التي تعتمد على قوته البدنية إلى الخدمات التي تعتمد على الذكاء وقوته العقلية والفكرية. وستظهر للوجود علوم أخرى جديدة تحارب كل ما يهدّد حياة الإنسان الفكرية والجسدية والروحية؛ لأنه في الأول والأخير هناك قوة أعظم بشكل لا يمكن مقارنته بقوة الإنسان العقلية والجسدية أو ما يخلقه من تكنولوجيا، وهي القوة الإلهية التي يراهن الإنسان عليها مهما اختلفت ديانتها وهي التي يحارب بها كل عدوان، وهو لب الثقافة التي تسجل نمط الحياة البشرية وكيف يفكر وهذه لن تنغمس لأنها تتعلق بالعقيدة نفسها، فالمعرفة لن تكتمل والإنسان لن يتوقف عن البحث والبحث هنا سيكون في اتجاهين متعاكسين دائماً البحث عمّا يدمر البشرية والبحث عمّا يبني البشرية.

خاتمة:

لم يأت الذكاء الاصطناعي ليشارك الإنسان حياته، ولا أن تتم معاملته كما يعامل الإنسان، ولا أرى له حقوقاً على الإنسان وإنّما تم اختراع الذكاء الاصطناعي ليسهل على الإنسان حياته وليخدمه في أي وقت يريد، وجاء الذكاء الاصطناعي ليحسن من فكر الإنسان ويحسن من حياته، ويختصر عليه الجهد والوقت، ويوجهه إلى الاستفادة منه في أشياء قد تكون أهم بكثير من انشغاله بالذكاء الاصطناعي نفسه والذي سيكون في فترة قادمة ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها؛ فيدخر الإنسان جهده في صناعة واختراع أشياء أهم بكثير منه وسيسخر في خدمته دون أن يعطله فكراً.

لكل مرحلة زمنية ماض وحاضر ومستقبل ونحن الآن في فترة تقارب فيها الماضي والحاضر والمستقبل بشكل كبير، ولا يمكن للكاتب الآن أن يستنفذ طاقته وجهده في البحث عن أفكار هو بالأساس من جهازها بواسطة برامج من صنعه.

المراجع:

- آلان بونيه، (1993). الذكاء الاصطناعي واقع ومستقبله، تر: علي صبري فرغلي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 172، أبريل. ص12.
- بلاي ويتباي، (2008م). الذكاء الاصطناعي، ط1. دار الفاروق للاستثمارات الثقافية. ص20. ص23.
- السيد نجم. (2010) النشر الإلكتروني والإبداع الرقمي "رؤية حول الأدب الجديد"، ط1. هيئة قصور الثقافة. ص34. ص35.
- عبد الرحمن المحسني، (2024). الذكاء الاصطناعي قاصاً وناقداً (تجريب)، مجلة الإمامة، مؤسسة الإمامة الصحفية، الرياض، العدد 2818 . ص38. ص39.

مواقع الانترنت:

مراد بابعا، روبوتات الذكاء الصناعي.. ثورة تقنية مبهرة تنتبأ بمستقبل غامض، آخر

تحديث: 4/3/2024 11.40 بتوقيت مكة المكرمة).

<https://doc.aljazeera.net/science-and-astronomy/2023/4/30/%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%88%D8%AA%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%B0%D9%83%D8%A7%D8%A1-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%86%D8%A7%D8%B9%D9%8A-%D8%AB%D9%88%D8%B1%D8%A9-%D8%AA%D9%82%D9%86%D9%8A%D8%A9>